

الجامعة ومتطلبات المجتمع

ملخص

حاولنا في هذا المقال إبراز نوعية المشكلات الأكاديمية التي شغلت اهتمام الباحثين في الولايات المتحدة في فترة الخمسينات من القرن الماضي وكيف تمت معالجتها ليتسنى لهم الانتقال من مجرد الاهتمام بتوفير مقعد بيداغوجي لكل طالب إلى تحديد نوعية المواصفات التي ينبغي أن يكون عليها الطالب والأستاذ على السواء والتي يكون المجتمع في أمس الحاجة إليها لنموه وازدهاره.

د. زهير بوضرسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أم البواقي
الجزائر

مقدمة

للتعليم العالي دور أساسي في فهم تعقيدات الواقع و قيادة المجتمع بيد أن الجامعات العربية تعاني بدورها من تحديات عدة أعاققت اضطلاعها بهذا الدور نجملها في ما يلي:

- عدم قدرة هذه المؤسسات على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة الراغبين في الالتحاق بهذه المؤسسات.

Résumé

Cet article s'intéresse à la manière dont les problèmes académiques rencontrés dans l'enseignement supérieur aux Etats-Unis, durant les années cinquante du siècle dernier, ont été discutés et résolus par les chercheurs. En définitive, plutôt que de continuer de se focaliser sur l'aspect quantitatif, en termes de nombre de sièges pédagogiques, le souci était alors de déterminer les critères d'ordre qualitatif, au niveau de l'étudiant et celui de l'enseignant, permettant à la société de progresser.

-البطالة المتزايدة في أعداد الخريجين وعدم مطابقة المخرجات مع سوق العمل

-اتسام التعليم العالي في الوطن العربي بالتقليدية إذ تنحصر وظيفته في تقديم المعرفة و التركيز على التخصصات في الأقسام النظرية

-النقص في أعضاء هيئة التدريس المؤهلين في كثير من التخصصات

-عدم ملاءمة أو ضعف مدخلات التعليم العالي من طلبة الثانوية من حيث طرائق

التدريس والتفكير التحليلي والنقدي (1) وهكذا انعكست كل مشكلات التعليم ما قبل الجامعي على التعليم الجامعي، فالتعليم العالي يستقبل طلابا قاربوا سن العشرين، مازالوا غير مؤهلين للعلم أو للثقافة أو للعمل. (2)

وعليه فإن إصلاح المضمون التعليمي لا يوتي أكله كاملا إلا إذا بدأ بإصلاح المستوى القاعدي ... وامتد ذلك إلى المستوى الجامعي. (3)

هذه التحديات التي تواجه التعليم العالي في بلادنا العربية اليوم هي تقريبا نفسها التي عانت منها أغلب دول العالم في ستينيات القرن الماضي حيث جاء في الوثيقة التي اعتمدت لتكون أساس المناقشة في المؤتمر الدولي حول الأزمة العالمية للتربية (ويليا مسبرج، أكتوبر 1967)... أن المشاكل التربوية في العالم ناتجة عن تضافر العوامل الخمسة التالية: إقبال شديد من التلاميذ على دور العلم، نقصان كبير في الإمكانيات، وتزايد في التكاليف، وعدم صلاحية من يتخرج، والجمود والفشل. (4)

لقد أجرى العديد من العلماء الأمريكيين الكثير من المؤتمرات تحت رعاية مؤسسة ادوارد هازن التي أنشئت سنة 1925 (5) في ولاية كونتيك بمنحة من ادوارد واينز هازن، اجتمع خلال سبع سنوات 500 من العلماء الزائرين و150 من العلماء الأمريكيين في 12 مؤتمر إقليمياً في مشروع فولبراتيبي ابتداء من سنة 1952 لاستكشاف معنى التجربة الأمريكية في التعليم العالي. (6)

واستهدفت هذه الاجتماعات ثلاثة أغراض :

1- إعطاء الفرصة للعلماء الزائرين للمقارنة و تصويب الحكم الذي وصلوا إليه نتيجة تجربتهم في التعليم العالي الأمريكي الذي يشاركون فيه بنصيب.

2- أعطت الأمريكيين بيانات يمكن استخدامها في عملية تقويم برامج التبادل وتحسينها .

3- أعطت الفرصة لمناقشة المشكلات التي تؤثر في البحث العلمي

ونوقشت التجربة الأمريكية باعتبارها لا تعدو أن تكون إحدى الجهود لمعالجة هذه المشاكل التي تتشابه إلى حد ما مع المشكلات التي يعاني منها التعليم العالي في وطننا العربي اليوم: منها ازدياد الطلب على التعليم العالي، الحاجة إلى المعرفة العلمية والفنية والتدريب فيها ودور الآداب القديمة في طور التغيير الاجتماعي السريع والمعدل المتزايد من المعرفة والحاجة إلى اتساع نشرها .

وهي المشاكل التي كونت القاعدة العريضة للمناقشات التي دارت عن التعليم الأمريكي.

والتي نقلت للمرة الأولى منذ أمد طويل بؤرة الاهتمام والتركيز من إتاحة الفرص للتعليم العالي وتكاليفه فحسب إلى نوع التعليم العالي و أهدافه.

وجاء هذا الانتقال كما تشير مقالات ساندز ستروزير وفرانكلين وبرود بفعل المطالب المتغيرة التي يفرضها المجتمع الأمريكي على معاهد التعليم العالي التي أمامها مشكلات عن تقاليد المتغيرة ومواد المعرفة وأهداف التعليم وعليها أن تجد لها حلا.

البحث العلمي في الجامعة الأمريكية

البحث في الجامعات الأمريكية أقل فردية وأعلى تنظيماً، وإن الجامعات يديرها جهاز كثير العمل وإنها تهتم بالاتصال بالجمهور والطلبة يخضعون للإشراف المباشر وللحماية الشديدة وللتدريب الرياضي والرعاية الدينية الفائقة.

إن مشاكل التعليم العالي الأمريكي لم تنشأ جراء تطبيق فلسفة معينة في التعليم وبقدر ما ظهرت نتيجة الإصرار على سمات ملحة في مسرح الحياة الأمريكية نجلها في :

1- مشكلة التوافق بين التقاليد المتباينة التي ينبثق منها التعليم العالي الأمريكي وتوليفها في نطاق مجتمع ديمقراطي سريع التأثير.

2- إيجاد السند المعنوي والمادي للدراسات الأمريكية الذي يسمح لها بالاحتفاظ بحريتها. الهبات، الضرائب التي يدفعها الشعب، ما يدفعه الطلبة من أجور، المنح التي تتبرع بها المؤسسات الخيرية، ما تدفعه المؤسسات العامة والخاصة للقيام بأبحاث تقوم بها الجامعات تلبية لحاجات هذه المؤسسات.

3- إنشاء علاقة سلمية بين الثقافة المتجهة إلى التكنولوجيا وبين المؤسسات ومثل العلوم البحتة والبحث المجرد لذاته.

ينبع التعليم الأمريكي من أصل مختلط، فهو في مستوى قبل التخرج انجلو سكسوني في أصله وفي مستوى الدراسات العليا في المستوى المهني يتبع أساساً القارة الأوروبية في تقاليده وقد تنتج من هذا الأصل المختلط توجيهات متعارضة كانت مصدراً لأحد المسائل الملحة في التعليم العالي الأمريكي وهي انقطاع الصلة بين التعليم قبل التخرج وبعده .

التعليم الانجلو سكسوني ظاهرة معقدة لها أهداف أخلاقية وذهنية فهي تسعى إلى تنمية الطالب في الخلق و وكذلك في المعرفة والمهارات و ندرك التعليم بناء على ذلك كوظيفة في بيئة مخططة تشمل أشياء أخرى كثيرة خلاف ترتيب الفصول الدراسية.

(7)

يسكن الطالب في الكلية البريطانية أو الأمريكية الكلاسيكية في بيت يبعد عن موطنه (8) بحيث تتاح له الفرصة ليعمل في ظروف مقيدة بدقة مع نظرائه كما لو كان

شابا مكتملا.

تحاول الكلية أن تهيئ له نموذجا مصغرا للعالم الكبير فيمر الطالب بسلسلة من المواقف الاستعدادية وفي هذا النموذج الاصطناعي يقوم بدوره كما لو كان يؤديه وقد أصبح شابا مكتمل فهو يقرأ ويكتب ويتدرب بالطبع في المناهج التعليمية وكذلك يشترك في الجماعات الدراسية والجمعيات الأدبية ويعمل في جرائد الطلبة أو يشترك في ألعابهم الرياضية وتتركز ميوله ونواحي نشاطه بصفة مستمرة على مسرح الكلية حيث ينتظر أن يجد في نطاق الكلية ساحة للتدريب في كل ما يرغب النهوض به، على عكس الطالب في القارة الأوروبية الذي يوضع قصدا في مركز الطالب ويبقى في هذا المركز مدى حياته التعليمية.

إن الكلية الأمريكية لما لها من أصل انجلوس اكسوني تتجه إلى تعليم يهتم بتوجيه الطالب أكثر من اهتمامه بالموضوع فالمواد تدرس و لكن السبب في اختيارها أن تكون وسائل تكوين الفرد. (9)

يقول جون ديوي "أن أفضل تدريب خلقي وأعماقه هو ذلك الذي يحصل عليه المرء من الصلة بغيره صلة ملائمة في وحدة من العمل والفكر أما النظم التعليمية الحاضرة بمقدار ما تفسد هذه الوحدة أو تغفلها فمن العسير عليها إن لم يكن مستحيلا أن تظفر بأي تهذيب خلقي صادق منظم.

يجب أن ينشأ نظام المدرسة من حياة المدرسة ككل لا مباشرة من المدرس. فمهمة المدرس أن يقرر، بما له من خبرة أوسع وحكمة أنضج كيف يخضع الطفل لنظام المدرسة. (10)

2- المشكلة الثانية: في النظام الجامعي الأمريكي السند المادي إذ يعدّه الأمريكيون جانبا من مشكلتهم الجامعية ويكون أكثر وضوحا في الجامعات الأهلية أما الجامعات الحكومية فإن لها السند المادي الكافي.

3- المشكلة الثالثة: في التعليم العالي الأمريكي، وهي أن العلاقة بين الثقافة المتجهة إلى التكنولوجيا وبين العلوم النظرية البحتة أصبحت غير متكافئة.

تنوع النظام الأكاديمي الأمريكي

يشير فيكتور باربريدج إلى أن هناك سماتا تنظيمية ثلاثا تؤثر على الجامعات ومعنويات الأساتذة وأنواع الفعاليات والقواعد والسياسات وهي:

1- الحجم 2- التنفيذ 3- طبيعة العمل الجامعي، والعلاقة مع المحيط الخارجي وقد استخدمت هذه السمات كمعايير أمكن بواسطتها تصنيف الأنواع المتعددة للجامعات الأمريكية على النحو التالي:

- 1- الجامعات الكبيرة الخاصة: Cornell , Harvard ,Stanford ,Yale
- 2- الجامعات الكبيرة العامة: Michigan, Illinois, California, Wisconsin, Washington Minnesota
- 3- كليات الفنون الرفيعة: Smith, Reed, Dartmouth, Swarthmore وغالبا ما تعرف بكليات النخبة elite arts colleges
- 4- الجامعات العامة الشاملة: هي جامعات الولايات ذات المستوى المتوسط من النوعية قلما تقدم برامج ماجستير.
- 5- الكليات العامة : جامعات ولايات ذات شهرة قليلة وتقدم برامج دراسات دنيا وتعتبر أفضل من كليات المجتمع وأقل من الجامعات العامة الشاملة .
- 6- كليات الفنون الخاصة: هي كليات أقل مستوى من كليات الفنون الرفيعة وهي كليات خاصة تقدم دراسات دنيا كما أنها أكثر أنماط الجامعات أمريكية تعدادا.
- 7- كليات المجتمع: تقدم هذه الكليات برامج فنية أو شهادات مرحلية لمن يود الانتقال للجامعات الأخرى وهي تابعة للمقاطعات المحلية أو الولاية وربع الأساتذة فيها يحملون الدكتوراه. (11)
- 8- الكليات المتوسطة الخاصة: هي مؤسسات تعليم عالي تابعة للكنيسة وحوالي عشر الأساتذة يحملون شهادات دكتوراه . (12)

كادر هيئة التدريس

في كل جامعات العالم المدرسون أو المحاضرون هم العمود الفقري في هيئة التدريس مع التوسع في وظائف الأستاذة والأساتذة المساعدين باعتبارهم القيادة العلمية في كل جامعة ومع التضييق ما أمكن في استخدام المدرسين المساعدين والمعيرين باعتبار أن خبرتهم محدودة ولا ينبغي أن تستشري في المحيط الجامعي. (13)

فالجامعات البريطانية تعتمد بنسبة 60% على طبقة المدرسين أو المحاضرين أما في النظام الأمريكي فيختلف عن النظام البريطاني من حيث توسعه في طبقة الأستاذة الذي تتراوح نسبتهم 30% و 40% من القوة العاملة المتفرغة في الجامعات بل أكثر من هذا فإن النظام الأمريكي يقوم على أساس أن الكادر الدائم في الجامعات مقصور على الأستاذة والأساتذة المشاركين أما الأستاذة المساعدون والمدرسون والمحاضرون فيعدون خارج هيئة التدريس وهم يستخدمون عادة بعقود قصيرة الأجل (14). على خلاف ذلك تُلثي العدد الإجمالي من أعضاء هيئة التدريس المعينين في الجامعات المصرية مثلا من فئتي الأستاذة والأساتذة المساعدين أما الثلث الباقي فهم من فئة المعيد ، مدرس مساعد، مدرس (15) وهم يعتبرون خارج هيئة التدريس.

ومع ديمقراطية التعليم غلب التدريس في الجامعات العربية كوظيفة ينهض بها من هم دون رتبة أستاذ من مساعدين و معيدين ومعلمين حتى أصبحت لهم الغلبة العددية، وتحولت الجامعة إلى مدرسة وعرف تعليمها ظاهرة الثونة Secondorisation . (16)

النظام الأكاديمي الأمريكي

يضع النظام الأمريكي الحواجز الكثيرة قبل بلوغ قمة البروفيسورية بل قبل دخول هيئة التدريس فالسلم هناك يتكون من :

- 1- مساعد الأبحاث
- 2- المربي أو التوتور
- 3- المدرس أو الأستراكتور
- 4- المحاضر أو اللكتشر
- 5- الأستاذ المساعد

وهذه المحطات العلمية كلها تكون قبل التعيين في الكادر الجامعي الدائم من الأساتذة والأساتذة المشاركين. (17) وكل من هو دون هؤلاء لا يعد عضو في هيئة التدريس ولا يتمتع إلا بعقد محدود المدة.

هذه الحواجز التي يضعها النظام الأمريكي قبل دخول هيئة التدريس يضع النظام الانجليزي ما يقابلها حين يسلسل السلم من مساعد الأبحاث إلى المعيد إلى المدرس إلى المدرس الأول إلى الأستاذ المساعد إلى الأستاذ

كما تعمل بالجامعة هيئة أكاديمية في مستويات وظيفية تراتبية . في أدناها تختار الجامعة معيديها من الحاصلين بتفوق على درجة ليسانس أو بكالوريوس ، كما تختار المدرسين المساعدين من الحاصلين بتفوق على الماجستير و تختار المدرسين من حاملي درجة الدكتوراه في مجال التخصص". (18)

ففي كل الأنظمة يمثل المعيدون القوة العاملة الخام التي يتم اختيارها من بين الخريجين المتفوقين والممتازين.

-غياب الهدف: لكي تتمكن الجامعات و المعاهد التقليدية في العالم العربي معايشة عصر العولمة ... فإن عليها إن تخوض عملية تغيير شامل و جذري يتعدى الشكل إلى المضمون. (19)

فأهم ما يميز الجامعات هو مواصفات خريجها لهذا فإن الموجهات الرئيسية التي وضعتها كبريات الجامعات العالمية لتصميم برامجها الأكاديمية تعمل جميعها لخلق شخصية معاصرة قادرة على التعامل مع المتغيرات .

إنّ تغييب الهدف هو عملياً فصل للجامعات عن محيطها وهو ما أوقعها في الجمود والتخلف عن مسايرة التطور الاجتماعي الحاصل في الجوانب العلمية والتقنية. ففي الولايات المتحدة تجاذب حركة التطور الجامعي قطبان جامعة ييل وجامعة هارفارد، الأولى ناضلت في سبيل أن تظل السيادة للدراسات الإنسانية، والثانية تحاول أن تنقل مركز الاهتمام إلى العلوم الطبيعية المتخصصة، وقد أعلنت جامعة ييل منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر أن نموذج الرجل المثقف الذي تعمل على تكوينه هو الذي يلم بالأدب القديمة والفلسفة و الرياضيات باعتبارها وحدة لا يجوز تقسيمها إلى فروع تخصص، ومثلها كلية سان جونز بولاية ميريلاند، والتي تدرس أمّات الكتب العظيمة التي عرفها الفكر الإنساني تاريخ حضارته (20) مهمة الجامعة في رأيها هي تكوين العقل المنهجي أكثر منه تعليم حرفة لكسب الرزق بطريق مباشر، فالمنهج الفكري أولاً والمهنة ثانياً، فكانت جامعة ييل في دراساتها الإنسانية المثال الجامعي المحافظ على الأصول الكلاسيكية في التعليم. (21)

مع تقدم العلم وتأثير الاختراعات الصناعية على زيادة رفاهية الحياة الاجتماعية للفرد الأمريكي قامت جامعة هارفارد بدورها الرئيس وهو أن تكون الجامعات إعداداً بالعلم للعمل إلى جانب الثقافة الإنسانية وألا تتخذ الدراسات الثقافية غاية في ذاتها، وأن يصبح الطالب في الجامعة باحثاً لا حافظاً، وأستاذ الجامعة رائداً في عملية البحث لا ملقناً لطائفة من المعلومات يراد للطلاب أن يخزنوها في ذاكرتهم ليكرروها، وبهذه النقلة الواسعة على يدي هارفارد لم تعد الجامعة امتداداً للثانوية في نوعها، بل أصبحت مختلفة عنها جذوراً و فروعا.

إن الفلسفة هي دالة التطور وهي الخلفية التي تستند وتقوم عليها الجامعات فخلال القرون التي تدهورت فيها المعاهد القديمة كانت الأكاديميات العلمية في إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا هي التي أتاحت الفرصة لانتقال الأفكار بحرية تامة (22).

وتقبلت الولايات المتحدة بشغف زائد التعاليم الألمانية فقد أسست كلياتها الأولى هارفارد ووليام وماري وييل على أساس أن خير طريق لبناء حضارة مسيحية في القارة الجديدة هو نشر تعاليم العقيدة البروتستانتية بالإضافة إلى اللغات القديمة.

أما جامعة ييل فقد احتفظت بالدراسات الأدبية القديمة والفلسفة والرياضة والعلوم كوحدة لا يمكن تقسيمها إلى فروع للتخصص دون تحطيم النموذج الغربي للرجل المتعلم.

وفي رأي أساتذة ييل أنّه يمكن ذكر أسباب سيكولوجية وتربوية لتأييد الإبقاء على ما عرف بالمواد الأدبية وترجع هذه الأسباب إلى "سيكولوجية الكلية" أو "نظرية المنهج العقلي" والفائدتان الكبيرتان المكتسبتان من الثقافة العقلية هما المنهج والإعداد العقلي: ينمي الأول قوى العقل ويمده الثاني بالمعرفة ثم جاء دور هارفارد بعد أن أصبح شارلز أليوت رئيساً لها 1869 الذي حدد مبادئ سياسته في خطابه الذي أصبح

ذائع الشهرة (23)"لا فائدته عملية لنا اليوم من المحاولات التي لا تنتهي فيما إذا كانت اللغة أو الفلسفة أو الرياضية أو العلوم تتيح أفضل تدريب عقلي أو إذا كان التعليم العام تغلب عليه الناحية الأدبية أو الناحية العلمية و لا ترى هذه الجامعة أي تعارض حقيقي بين الآداب والعلوم ولا توافق على مثل هذه المفاضلات الضيقة بين الرياضة أو الآداب القديمة وبين العلم و ما وراء الطبيعة بل ترى لزوم تدريسها جميعا وعلى أعلى مستوى . فالملاحظة الدقيقة والمحاكاة السليمة والتخيل الواضح هي عمليات ضرورية مثل التعبير الواضح القوي وتنمية إحدى هذه المواهب لا تستدعي بالضرورة الكبت والتقليل من قدر المواهب الأخرى. (24)

وقد حدث في هارفارد ما لاحظته "إليوت" في ألمانيا فلم يعد الأستاذ مدرسا لحقائق مقدره ولكنه قائد في البحث عن الحقيقة في أي مكان وعلى أي صورة توجد عليها.

أي مواصفات للفرد نريد ؟ حتى يمكننا تقييم تجربتنا ونحكم عليها بالنجاح أو الفشل؟ ما هي مواصفاته الذهنية ؟ إن أكبر خطر يهدد المؤسسة الجامعية (الجزائرية) يتمثل في اتجاهها نحو التسيير البيروقراطي النمطي الذي يجعل الإدارة غاية في حد ذاتها بحيث يقتصر العمل الجامعي على إتمام إجراءات ورقية يستغرق جهد رجاله و يستنفد طاقتهم، و يكون معيارا لمدى نجاحهم في أداء مهامهم. (25)

أهداف جامعة أكسفورد:

- تشير لجنة أكسفورد البريطانية للامتياز أن هناك خمسة أهداف رئيسية :
- 1- تقديم استثناءات تعليمية لكل من الخريجين أو غير الخريجين ودعمهم بمنح دراسية من كليات و لجان و مؤسسات معروفة.
 - 2- اجتذاب وتطوير طاقم من العاملين ذوي السمعة والمكانة العالية التي قامت برعايتهم جامع أكسفورد مع محاولة الاحتفاظ بهم.
 - 3- اختيار أفضل الطلاب سواء كانوا من المحليين أم من الدوليين وذلك عن طريق تقدير عادل لإمكاناتهم و بحوث تخرجهم و انجازاتهم
 - 4- العمل على إيجاد الكثير من الإسهامات للمجتمع أو الإقليم، أو المنطقة، أو حتى في الخارج من خلال نتائج أبحاثهم و مهاراتهم في بحوث تخرجهم
 - 5- توزيع التسهيلات والخدمات المجانية بشكل فعال ومسؤول بما يحقق الفائدة لطاقم العمل و الطلبة

أهداف جامعة كاليفورنيا:

تعتبر جامعة كاليفورنيا من الجامعات الأولى في التصنيف العالمي، و هي جامعة حكومية تتبع لولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، و تراعي الأهداف العامة للولاية التي تنسجم إلى حد كبير معها و تعبر عنها و قد وضعت الولاية أهداف عامة

أهمها:

- 1- توجيه و قيادة التعليم من خلال التوسع في إدخال برامج توأمة مع مؤسسات أخرى في برامج الدراسات العليا، وخلق برامج تربوية متاحة تعزز مهنية التعليم، و بناء معهد للقيادة التربوية .
- 2- تدريب المدرسين بناء على الاحتياجات التدريبية، وإعداد برامج مهنية متخصصة و عالية الجودة لرفع كفاءتهم.
- 3- تطوير سياسات وإجراءات القبول في الجامعة .
- 4- بناء وتطوير قدرات البحث وتعزيز كفاءة الطلبة بالمهارات المهنية والممارسات الجيدة .
- 5- إعادة تقييم البرامج وإلغاء البرامج التي لا تفي بحاجيات الولاية.
- 6- إتاحة الفرصة للسكان المؤهلين للاستفادة من برامج التعليم العالي و خدمة التعليم المهني. (26)

ترتبط هذه الأهداف ارتباطا وثيقا بالجودة ، هذا المفهوم الذي لاق رواجا عالميا كبيرا بعد انعقاد مؤتمر ضمان الجودة في التعليم العالي الذي نظّمته الشبكة الدولية لوكالات ضمان الجودة في التعليم العالي بمدينة مونتريال بكندا عام 1993 ومن أبرز الصيغ والآليات المطبقة حاليا على مستوى العالم لضمان الجودة في التعليم نظام الاعتماد Accreditation system (27)، فهو نظام يتم بموجبه الاعتراف بالمؤسسات التعليمية و البرامج أو الشهادات العلمية أو التراخيص لمزاولة مهنة التعليم...هذه المؤسسات لها صفة الاستقلالية وتكون محايدة، إذ يوجد في الولايات المتحدة أكثر من 35 منظمة للاعتماد منه (28):

هيئات النوعية والاعتماد في التعليم العالي

تعدّ الشبكة الدولية لمؤسسات ضمان الجودة في التعليم العالي (INQAAHE) ووكالة ضمان جودة التعليم العالي (QAA) في بريطانيا ومجلس اعتماد التعليم العالي (CHEA) في الولايات المتحدة و لجنة التقييم الوطني في فرنسا (CNE) من أهم مؤسسات الاعتماد في الدول المتقدمة. (29)

ففي بريطانيا أنشئت وكالة ضمان الجودة عام 1997 لتقنين عمليات ضمان الجودة الخارجية، و الوكالة مستقلة عن حكومة المملكة المتحدة، وتمتلكها المنظمات التي تمثل رؤساء الجامعات و الكليات بالمملكة المتحدة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تأسست أول هيئة في عام 1949 باسم اللجنة القومية لاعتماد الجودة (NCA) ثم تبعتها هيئة أخرى أطلق عليها الاتحاد الإقليمي لإدارات الاعتماد للتعليم العالي (FRACHE) وفي عام (1975)، أدمجت الهيئتان لتكونا كيانا واحدا تحت اسم مجلس اعتماد التعليم بعد الثانوي (CHEA) ، يتولى المتابعة والمراجعة و التنسيق بين هيئات اعتماد الجودة بالتعاون مع إدارة التعليم بواشنطن .

- الشبكة الدولية لمؤسسات ضمان الجودة في التعليم العالي (INQAAHE)

تعدّ الشبكة الدولية لوكالات ضمان الجودة في التعليم العالي مؤسسة عالمية حاضنة لأكثر من مائتي رابطة لمنظمات تعمل في مجال ضمان الجودة ، و تضم أكثر من مائتي عضو داخل المؤسسة تأسست عام (1991)، مقرها بريطانيا وتهدف إلى تشجيع الممارسة الجيدة في مجال صيانة وتحسين جودة التعليم العالي ووضع المعايير الدولية العالمية، وقيادة الأسس العملية والنظرية للمهنة. (30) وفي اليابان يقوم بمهام الاعتماد في المرحلة الجامعية مجلس الاعتماد الجامعي (Juaa) . وفي كوريا الجنوبية نجد المجلس الكوري للاعتماد الجامعي وفي هونج كونج مجلس الاعتماد الأكاديمي للتعليم الجامعي، كما يتم الاعتماد في فرنسا (31) عن طريق اللجنة القومية للتقويم (CNE).

إن المشكلة الحقيقية تكمن في استنساخ النمط الغربي في إنشاء الجامعات العربية. فقد قامت الجامعات العربية على غرار نموذج الجامعات البحثية الغربية العريقة ، التي كانت مهمتها التنظير والبحث، والانشغال بقضايا الفكر الكبرى، وقد قلدت الجامعات العربية الأحدث النماذج التي سبقتها و اكتسب هذا النموذج الشمولي النظري وجاهة اجتماعية عظيمة و بسبب استيراد النماذج من دول الأخرى يختلف سياقها الاجتماعي والثقافي و السياسي عن ما هو موجود فعلا في الوطن العربي، تدنّى مستوى الكفاءة والأداء و انتهى الأمر إلى نوع من الاعتماد الثقافي على الدول التي تم استيراد نماذجها.

إن استيراد النماذج الغربية للجامعات العريقة أو استنساخها على هذا النحو قد دفع الشرائح المختلفة من المجتمع إلى الاندفاع نحو هذه الجامعات ذات الدراسة طويلة الأجل من أجل الحصول على شهادة الليسانس والماجستير والدكتوراه (أزمة الماستر التي تعاني منها الجامعات الجزائرية اليوم) وقد أدى هذا – في الوقت نفسه إلى إهمال الدراسة في المعاهد الفنية ذات السنتين أو الثلاث سنوات بعد الدراسة الثانوية، التي تعد خريجها لسوق العمل، فقل شأنها ، و تدهور مستواها ، ولم يلجأ إليها إلا من ضاقت به السبل للوصول إلى الجامعات ذات الشهادات. (32)

أدى الاعتماد على نظريات و منهجيات غربية جاهزة إلى عدم بذل الجهد في عمل تكوين فكري فلسفي تنظيري يستوعب الواقع العربي وخصائصه ومميزاته وأماله المستقبلية، ويقوم على أساسه بنية جامعية تتكامل فيها العوامل الفلسفية والثقافية والاجتماعية مع العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية (33) فنتجت جامعات نمطية في تنظيماتها، بيروقراطية في إدارتها تقليدية في دراستها، هابطة في كفاءتها، متزدية في أبحاثها، مفلسة في خدماتها، رديئة في إنتاجاتها. (34)

إن المجتمعات الغربية تتسابق للصدارة والهيمنة فيما بينها مستخدمة المعرفة والإبداع الذين أصبحا من أهم العوامل المؤثرة لقيام ما يطلق عليه (مجتمع المعرفة) الذي لا يقنع باستخدام المعلومات لفهم واقع الحياة و إحدائها و تفاعلاتها والاستفادة منها في توجيه مختلف أنماط الأنشطة و خاصة في المجال الاقتصادي، وإنما يعمل بالإضافة لذلك على إنتاج المعرفة وتسويقها بحيث تصبح مصدرا اقتصاديا رئيسا يحمل في ثناياه دور الهيمنة الاقتصادية. (35)

وكما يقول إدوارد بورتلان (36) الأستاذ بجامعة ريو دي جنيرو الفيدرالية في المجلد الخمسين (العدد الأول ص5-6) من مجلة ديوجين إن مجتمع المعرفة يمثل برنامجا متكاملا مخصصا للفعل وأن ذلك الفعل سوف يضمن التعليم والعلوم والثقافة والاتصال كلها معا في وحدة متكاملة و متماسكة وأن إنتاج المعرفة سوف يكون سلعة رابحة تحمل معها السيطرة السياسية والمكانة الاجتماعية والهيمنة الثقافية والاقتصادية على المجتمعات الأخرى.

المراجع

- 1- خالد أحمد صرايرة، ليلي العساف، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بين النظرية والتطبيق، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد الأول 2008، ص 5.

<http://www.ust.edu/uaqe/count/2008/1/1.pdf>

- 2- عزيز حنا، مطالب الوحدة العربية على التعليم، دور التعليم في الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1979، ص 214.
- 3 - محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ ، ص30.
- 4- ايدجار فور وآخرون، تعلم لتكون. ترجمة حنفي بن عيسى، ط2، 1976 ، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص66 .
- 5 - بتصريف عن تشارلس فرانكل، نظرات في التعليم الجامعي، محمود رفيق رمزي، القاهرة1963، ص4 .
- 6- تواصل الولايات المتحدة الأمريكية تفردها بالمراتب الأولى لأفضل جامعات العالم.
- 7 - بتصريف عن تشارلس فرانكل، مرجع سابق، ص242.
- 8- يقول روبير بازان " لكي تقدر الإنسان حق قدره، يجب أولاً أن لا يكون بينكما تعارف" انظر ايدجار فور. مرجع سابق، ص 129.
- 9- بتصريف عن تشارلس فرانكل مرجع سابق، ص243.
- 10- أحمد فؤاد الأهواني ، جون ديوي، ط2، دار المعارف المصرية، 1968، ص160.
- 11- في قاعدة التعليم الجامعي في مختلف دول العالم مرحلة جامعية أولى مدتها سنتان ، تنتشر في أغلب الولايات والمناطق الريفية بينما تقوم في المدن الكبرى الجامعات الشاملة، ففي فرنسا نجد مؤسسات الحلقة الأولى premier cycle وفي الولايات المتحدة :كليات المجتمع، في بريطانيا برنامج المستوى المتقدم A.L.M في كندا مرحلة CEJEB في روسيا معاهد التكنيكوم وفي اليابان كليات الراشدين، تتوج هذه الدراسات بشهادات تعرف بدبلوم الدراسات الجامعية العامة في فرنسا DEUG، وفي مجال الدراسات الاجتماعية الأمريكية Associate of arts وفي مجال الدراسات العلمية ; Associate of science وفي بريطانيا شهادة G.C.E. انظر محمود قمبر، دراسات في التعليم الجامعي ، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2006، ص168.
- 12- فيكتور بالبريدج وآخرون صنع السياسات والقيادة الفاعلة: دراسة عن الإدارة الجامعية في الولايات المتحدة، المجلة العربية للإدارة، ع1.2 ، سنة 1981 ، ص121.

- 13- لويس عوض الجامعة والمجتمع الجديد الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ص 103.
- 14- لويس عوض ، المرجع السابق، ص 105.
- 15- البنك الدولي، 2010، التعليم العالي فيمصر. منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، ص 235.
- 16- محمود قمبر، دراسات في التعليم الجامعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2006، ص 139.
- 17 - لويس عوض، مرجع سابق، ص 104.
- 18- محمود قمبر، مرجع سابق، ص 190.
- 19- علي أحمد مذكور. التعليم العالي في الوطن العربي الطريق إلى المستقبل، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000، ص 189.
- 20 - محمد قمبر ، مرجع سابق، ص 31.
- 21 - محمود قمبر، المرجع نفسه، ص 30.
- 22 - روبرت يوليك الجامعات الأمريكية وفلسفات التعليم المتغيرة من كتاب تشارلس فرانكل، نظرات في التعليم الجامعي، مرجع سابق، ص 44.
- 23 - شالس أليوت خطاب الافتتاح 19 أكتوبر 1869 نشر في كتاب شارلس أليوت "الإنسان و معتقداته" نشره وليم ألان نلسون الجزء الأول نيويورك 1926.
- 24- تشارلس فرانكلن مرجع سابق، ص 47 .
- 25 - محمد العربي ولد خليفة . مرجع سابق ، ص 187.
- 26 -أياد علي الدجني ، دور التخطيط الاستراتيجي في جودة الأداء المؤسسي، رسالة دكتوراه، 2010 إشراف أحمد كنعان، جامعة دمشق، 2011، ص 88.
<http://library.iugaza.edu.ps/thesis/99201.pdf>
- 27- محمد حسنين العجمي، الاعتماد وضمان الجودة الشاملة لمدارس التعليم الثانوي العام، دار الجامعات الجديدة، 2007، مصر، ص 164.
- 28- محمد حسنين العجمي، نفس المرجع ، ص 165.
- 29- إياد علي الدجني، مرجع سابق ، ص 129.

<http://library.iugaza.edu.ps/thesis/99201.pdf>

- 30 - بتصريف عن إياد علي الدجني ، نفس المرجع ، ص 130.
- 31- محمد حسنين العجمي، المرجع السابق، ص168.
- 32- بتصريف عن علي احمد مذكور، التعليم العالي في الوطن العربي، مرجع سابق، ص28.
- 33- علي احمد مذكور، المرجع السابق، ص 28.
- 34- محمد قمبر . مرجع سابق، ص 1 .
- 35- أحمد أبوزيد، مجلة العربي 2003/11/1 .
- 36- المرجع السابق.